أحاديث إصلاح القلوب

(٣٠)

لمَّة الملك ولمَّة الشَّيطان

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ**». قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**وَإِيَّايَ إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ**». رواه مسلم(١).

وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا لَيْلًا. قَالَتْ فَغِرْتُ عَلَيْهِ، فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ، فَقَالَ: «**مَا لَكِ يَا عَائِشَةُ أَغِرْتِ**». فَقُلْتُ: وَمَا لِي لَا يَغَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَقَدْ جَاءَكِ شَيْطَانُكِ**». قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَمَعِيَ شَيْطَانٌ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». قُلْتُ: وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». قُلْتُ: وَمَعَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، وَلَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ**». رواه مسلم(٢).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بِابْنِ آدَمَ وَلِلْمَلَكِ لَمَّةً، فَأَمَّا؛ لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالحَقِّ،**

---

(١) رواه مسلم (٢٨١٤).

(٢) رواه مسلم (٢٨١٥).

وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلَكِ؛ فَإِيعَادٌ بِالخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالحَقِّ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللهِ فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ الأُخْرَى؛ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ﴾ [البقرة:٢٦٨] الآيَةَ». رواه التِّرمذيُّ والنَّسائيُّ(١).

إنَّ من الأمور الجديرة بالعناية في باب إصلاح القلوب معرفةَ الفرق بين لمَّة الملك ولمَّة الشَّيطان، واللَّمَّة ما يقع في القلب من خطرات، فيقفُ المرءُ الناصح لنفسه عند كلِّ خاطرٍ يَخْطُرُ في قلبه ليعلم أهو من لمَّة الملك أو من لمَّة الشَّيطان ويمعنُ فيه النَّظر بعين البصيرة وضياء العلم ونور التَّقوى، كما قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾[الأعراف: ٢٠١]، فإن تبيَّن أنَّه من المَلَك حمد الله وأمضاه، وإن تبيَّن أنَّه من الشَّيطان تعوَّذ بالله منه وتوقَّاه.

ومَن يتأمَّل حال القلب مع المَلَك والشَّيطان يرى عجبًا، فهذا يُلِمُّ به مرَّة وهذا يُلِمُّ به مرَّة، فإذا ألمَّ به المَلَك حدث له من لمَّته الانشراحُ والنُّور والرَّحمة والإخلاص والإنابة ومحبَّة الله وإيثاره على ما سواه وقصر الأمل والتَّجافي عن دار البلاء، وإذا ألمَّ به الشَّيطان حدث له من لمَّته الضِّيقُ والظُّلمة والهمُّ والغمُّ والخوف والسَّخط على المقدور والشَّكُّ في الحقِّ

(١) رواه التِّرمذيُّ (٢٩٨٨)، والنَّسائيُّ في الكبرى (١٠٩٨٥).

والحرص على الدُّنيا والغفلة عن الله.

والنَّاس في هذه المحنة مراتبُ لا يحصيها إلَّا الله: فمنهم مَن تكون لمَّة الملك له أغلب من لمَّة الشَّيطان وأقوى، وهو يقذف في القلب الصِّدق والعدل واتِّباع الهُدَى، ومنهم مَن تكون لمَّة الشَّيطان أغلب عليه، وهو يوسوس في القلب العقائد الفاسدة والظُّلم واتِّباع الهوى، فالمَلَك والشَّيطان يتعاقبان على القلب تعاقب اللَّيل والنَّهار فمِن النَّاس مَن يكون ليله أطول من نهاره وآخر نهاره أطول من ليله، ومنهم مَن يكون زمنُه نَهَارًا كلُّه وآخر زمنه ليلًا كلُّه.

«ومبدأ العلم الحقِّ والإرادة الصَّالحة: من لمَّة الملك. ومبدأ الاعتقاد الباطل والإرادة الفاسدة: من لمَّة الشَّيطان، قال الله تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ﴾ [البقرة:٢٦٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران:١٧٥]. أي: يُخَوِّفكم أولياءه، وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ﴾ [الأنفال:٤٨]. والشَّيطان وسواس خنَّاس إذا ذكر العبد ربَّه خنس، فإذا غفل عن ذكره وسوس؛ فلهذا كان ترك ذكر الله سببًا ومبدأ لنزول الاعتقاد الباطل والإرادة الفاسدة في القلب»[(١)].

---

(١) الانتصار لأهل الأثر (ص٥١)، ومجموع الفتاوى (٤/ ٣٤).

ومن النَّافع والمفيد في هذا الباب: أن يعرف المرء أسباب دُنُوِّ الملائكة منه وأسباب تباعدها، وأسباب دُنُوِّ الشياطين منه وأسباب تباعدها، ليأخذ بأسباب الخير والسَّلامة وليجانب أسباب الشَّرِّ والهلاك، فإنَّ دُنُوَّ الملائكة من العبد خير ورحمة، ودُنُوَّ الشَّياطين منه شرٌّ وهلكة، والذُّنوب والمعاصي تباعد الملائكة وتُقَرِّب الشَّياطين.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن عقوباتها: أنَّها تباعد عن العبد وليَّه وأنفعَ الخلق له وأنصحَهم له، ومَن سعادتُه في قربه منه، وهو المَلَك الموكل به، وتدني منه عَدُوَّه وأغشَّ الخلق له، وأعظمَهم ضررًا له، وهو الشَّيطان؛ فإنَّ العبد إذا عصى الله تباعد منه المَلَك بقدر تلك المعصية.

ولا يزال المَلَك يقرب من العبد حتَّى يصير الحكم والطَّاعة والغلبة له، فتتولَّاه الملائكة في حياته وعند موته وعند بعثه، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فُصِّلت:٣٠-٣١].

وإذا تولَّاه المَلَك تولَّاه أنصحُ الخلق وأنفعهم وأبرُّهم، فثبَّته وعلَّمه، وقوَّى جنانه، وأيدَّه الله تعالى: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ

ءَامَنُوٓاْ﴾ [الأنفال:١٢].

فيقول الملك عند الموت: لا تخف ولا تحزن وأبشر بالَّذِي يَسُرُّك، ويثبِّته بالقول الثَّابت أحوج ما يكون إليه في الحياة الدُّنيا، وعند الموت، وفي القبر عند المسألة.

فليس أحد أنفع للعبد من صحبة المَلَك له، وهو وليُّه في يقظته ومنامه، وحياته وعند موته وفي قبره، ومؤنسه في وحشته، وصاحبه في خلوته، ومُحَدِّثه في سرِّه، ويحارب عنه عَدُوَّه، ويدافع عنه ويعينه عليه، ويَعِدُه بالخير ويُبَشِّره به، ويَحُثُّه على التَّصديق بالحقِّ.

وإذا اشتدَّ قرب المَلَك من العبد ألقى على لسانه القول السَّديد، وإذا بعد منه وقرب الشَّيطان، ألقى عليه قول الزُّور والفحش، وكان أحدهم يسمع الكلمة الصَّالحة من الرَّجل الصَّالح، فيقول: ما ألقاه على لسانك إلَّا الملك، ويسمع ضدَّها فيقول: ما ألقاها على لسانك إلَّا الشَّيطان، فالمَلَك يلقي بالقلب الحقَّ ويلقيه على اللِّسان، والشَّيطان يلقي الباطل في القلب ويجريه على اللِّسان.

فمن عقوبة المعاصي أنَّها تبعد من العبد وليَّه الَّذِي سعادته في قربه ومجاورته وموالاته، وتدني منه عَدُوَّه الَّذِي شقاؤه وهلاكه وفساده في قربه وموالاته.

فمَلَك المؤمن يرُدُّ عنه ويحارب ويدافع عنه، ويُعَلِّمه ويثبِّته ويُشَجِّعه، فلا يليق به أن يسيء جواره ويبالغ في أذاه وطرده عنه وإبعاده، فإنَّه ضيفه وجاره.

وإذا كان إكرام الضَّيف من الآدميِّين والإحسان إلى الجار من لوازم الإيمان وموجباته، فما الظَّنُّ بإكرام أكرمِ الأضياف، وخيرِ الجيران وأبرِّهم؟

ولا ألأم ممَّن لا يستحي من الكريم العظيم القدر، ولا يُجِلُّه ولا يُوَقِّره، وقد نبَّه سبحانه على هذا المعنى بقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار:١٠-١٢]، أي: استحيوا من هؤلاء الحافظين الكرام وأكرموهم، وأجِلُّوهم أن يروا منكم ما تستحيون أن يراكم عليه من هو مثلكم، والملائكة تتأذَّى ممَّا يتأذَّى منه بنو آدم، وإذا كان ابن آدم يتأذَّى ممَّن يفجر ويعصي بين يديه، فما الظَّنُّ بأذى الملائكة الكرام الكاتبين؟». الدَّاء والدَّواء باختصار[1].

ومن النَّافع أيضًا في هذا الباب: أن يعرف العبد الضَّوابط الَّتِي يُمَيَّز بها بين لمَّة الملك ولمَّة الشَّيطان، وفي هذا يقول ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الفرق بين إلهام المَلَك وإلقاء الشَّيطان من وجوه:

- **منها:** أن ما كان لله موافقًا لمرضاته وما جاء به رسوله؛ فهو من

(١) الدَّاء والدَّواء (ص١٠٦ - ١٠٩) بتصرُّف.

المَلَك وما كان لغيره غير موافق لمرضاته فهو من إلقاء الشَّيطان.

- **ومنها:** أنَّ ما أثمر إقبالًا على الله وإنابة إليه وذكرًا له وهِمَّة صاعدة إليه؛ فهو من إلقاء المَلَك، وما أثمر ضِدَّ ذلك فهو من إلقاء الشَّيطان.
- **ومنها:** أنَّ ما أورث أُنْسًا ونورًا في القلب وانشراحًا في الصَّدر؛ فهو من المَلَك، وما أورث ضِدَّ ذلك فهو من الشَّيطان.
- **ومنها:** أنَّ ما أورث سكينة وطمأنينة؛ فهو من المَلَك، وما أورث قلقًا وإنزعاجًا واضطرابًا فهو من الشَّيطان.

فالإلهام الملكيُّ يكثر في القلوب الطَّاهرة النَّقيَّة الَّتِي قد استنارت بنور الله، فلِلْمَلَك بها اتِّصال وبينه وبينها مناسبة، فإنَّه طيِّب طاهر لا يجاور إلَّا قلبًا يناسبه فتكون لمَّة الملك بهذا القلب أكثر من لمَّة الشَّيطان، وأمَّا القلب المظلم الَّذِي قد اسودَّ بدخان الشَّهوات والشُّبُهات، فإلقاء الشَّيطان ولمَّه به أكثر من لمَّة المَلَك»[(١)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

- «**ومن الفرقان أيضًا:** أنَّ كُلَّ وارد يبقى الإنسان بعد انفصاله نشيطًا مسرورًا نشوانًا: فإنَّه وارد ملكيٌّ، وكُلُّ وارد يبقى الإنسان بعد

(١) الرُّوح لابن القيِّم (٢/ ٧١٤).

انفصاله خبيث النَّفس كسلانَ ثقيل الأعضاء والرُّوح يجنح إلى فتور: فهو وارد شيطانِيٌّ.

- **ومن الفرقان أيضًا:** أنَّ كُلَّ وارد أعقب في القلب: معرفة بالله ومحبَّة له وأنسًا به وطمأنينةً بذكره وسكونًا إليه: فهو ملكيٌّ إلهيٌّ وخلافه بخلافه.
- **ومن الفرقان أيضًا:** أنَّ كلَّ وارد أعقب صاحبه تقدُّمًا إلى الله تعالى والدَّار الآخرة، وحضورًا فيها حتَّى كأنَّه يشاهد الجنَّة قد أزلفت والجحيم قد سُعِّرت؛ فهو إلهيٌّ ملكيٌّ وخلافه شيطانِيٌّ نفسانِيٌّ.
- **ومن الفرقان أيضًا:** أنَّ كُلَّ وارد كان سببه النَّصيحة في امتثال الأمر والإخلاص والصِّدق فيه؛ فهو إلهيٌّ ملكيٌّ وإلَّا فهو شيطانِيٌّ.
- **ومن الفرقان أيضًا:** أنَّ كُلَّ وارد استنار به القلب وانشرح له الصَّدر وقوي به القلب؛ إلهيٌّ ملكيٌّ وإلَّا فهو شيطانِيٌّ.
- **ومن الفرقان أيضًا:** أنَّ كُلَّ وارد جمعك على الله فهو منه، وكُلَّ وارد فرَّقك عنه وأخذك عنه فمِنَ الشَّيطان.
- **ومن الفرقان أيضًا:** أنَّ الوارد الإلهيَّ لا يصرف إلَّا في قربة وطاعة ولا يكون سببه إلَّا قربة وطاعة؛ فمستخرجه الأمر ومصرفه الأمر. والشَّيطانِيُّ بخلافه.

- **ومن الفرقان أيضًا:** أنَّ الوارد الرَّحمانِيَّ لا يتناقض ولا يتفاوت ولا يختلف بل يُصَدِّق بعضه بعضًا، والشَّيطانِيُّ بخلافه يُكَذِّب بعضه بعضًا»[(١)].

وكلُّ شَرٍّ في العالم سببه الشَّيطان، ويمكن حصر شرِّه في ستَّة أجناس لا يزال بابن آدم حتَّى ينال منه واحدًا منها أو أكثر.

- «الأوَّل شرُّ الكفر والشِّرك، وهو أوَّل ما يريد من العبد، فلا يزال به حتَّى يناله منه.

- فإذا يئس منه من ذلك، نقله إلى:

- المرتبة الثَّانية من الشَّرِّ وهي البدعة، وهي أحبُّ إليه من الفسوق والمعاصي؛ لأنَّ ضررها في نفس الدِّين، وهو ضرر مُتعدٍّ وهي ذنب لا يتاب منه.

- فإن أعجزه من هذه المرتبة نقله إلى:

- المرتبة الثَّالثة من الشَّرِّ وهي الكبائر على اختلاف أنواعها، فهو أشدُّ حرصًا على أن يوقعه فيها.

- فإن عجز الشَّيطان عن هذه المرتبة نقله إلى:

- المرتبة الرَّابعة وهي الصَّغائر الَّتِي إذا اجتمعت فرُبَّما أهلكت

---

(١) مدارج السَّالكين (٣/ ٢٦٧).

صاحبها، ولا يزال يُسَهِّل عليه أمر الصَّغائر حتَّى يستهين بها.

- فإن أعجزه العبد من هذه المرتبة نقله إلى:

- المرتبة الخامسة وهي إشغاله بالمباحات الَّتِي لا ثواب فيها ولا عقاب بل عاقبتها فوت الثَّواب الَّذِي ضاع عليه باشتغاله بها.

- فإن أعجزه العبد من هذه المرتبة -وكان حافظًا لوقته شحيحًا به يعلم مقدار أنفاسه وانقطاعها وما يقابلها من النَّعيم والعذاب- نقله إلى:

- المرتبة السَّادسة وهو أن يشغله بالعمل المفضول عمَّا هو أفضل منه ليزيح عنه الفضيلة ويُفَوِّته ثواب العمل الفاضل فيأمره بفعل الخير المفضول ويَحُضُّه عليه ويُحَسِّنه له إذا تضمَّن ترك ما هو أفضل وأعلى منه»[١].

أعاذنا الله أجمعين وذُرِّيَّاتنا والمسلمين من الشَّيطان الرَّجيم، وأصلح لنا شأننا كُلَّه، وهدانا إليه صراطًا مستقيمًا.

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٢٦٠) ملخصا.